

أهل البيت عليهم السلام
فخر واعتزاز
الإمام الخميني قدس سره :

نحن نفخر بأن أئمتنا هم الأئمة المعصومون بدءاً من علي بي أبي طالب عليه السلام وختماً بمنقذ البشرية حضرة المهدي صاحب الزمان عليه وعلى آبائه آلاف التحية والسلام، وهو بمشيئة الله القدير، حيّ يراقب الأمور .

نحن نفخر بأن الأدعية وهي القرآن الصاعد وفيها الحياة إنما هي من فيض أئمتنا المعصومين. وعندنا مناجاة الأئمة الشعبانية ودعا الحسين بن علي عليه السلام في عرفات، وعندنا الصحيفة السجادية زبور آل محمد والصحيفة الفاطمية وهي الكتاب الذي ألهمه الله تعالى للزهراء المرضية عليها السلام .

نحن نفخر بأن منا باقر العلوم وهو أعظم شخصية تاريخية ما عرفها ولا يستطيع معرفتها إلا الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومون عليهم السلام .

نحن نفخر بأن مذهبنا جعفري، ففقهنا هذا البحر المعطاء بلا حد وهو واحد من آثاره .

نحن نفخر بجميع الأئمة المعصومين عليهم صلوات الله ونلتزم
باتباعهم. نحن نفخر بأن أئمتنا المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم
قضوا أعمارهم سجنًا وتشريدًا في سبيل رفعة الإسلام وتحقيق أهداف
القرآن الكريم والتي أحدها تأسيس حكومة العدل 1 .

روح الله الموسوي الخميني

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أهل بيت النبوة ومعدن
الرسالة سيدنا ومولانا خاتم الأنبياء وعلى آله الأصفياء أدلة الأرض
والسما... وبعد إن من الصعب جداً أن يصل المرء حينما يقرأ صحف
الوجود المقدس لأهل البيت عليهم السلام، مولدًا وعروجًا، نبوة وولاية،
مقامًا وغايةً، إلى حدٍ محدود. كيف؟! وهم الآفق اللامتناهي الذي
عجزت عن إدراكه الأبواب وأن يحويه كتاب.

يزداد الأمر صعوبة حين تسبح في بحر الإمام الخميني قدس سره، ومنه
تعبّر إلى كل العالم، عالم الحقيقة الخالدة والنور الأبدي الذي لا يخبو
أو يطفأ حيث يقول قدس سره: "لم يكن حضرة الأمير المؤمنين عليه
السلام من الجهة المعنوية شخصاً مفرداً، بل كان كل العالم" 2 .

ويستوقفك الزمن في موقف جامع بين تجلي النور الفاطمي للسيدة
الجليلة مليكة التكوين صلوات الله عليها وولادة الإمام قدس سره المعلن
من أعماق روحه: "إن المعنويات والتجليات الملكوتية الإلهية مجتمعة
كلها في هذا الموجود السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام³.

تنتهي بعد هذا السير الآفاقي، من يقرأ في فكر من، ومن ذا ينال معرفة
من، ومن يصف من؟!
فإلى المعاني التي لا تدرك والمعالي التي لا تملك، مع الاعتراف بالعجز
والتقصير .
"جلّ مقام آل محمد عن وصف الواصفين ونعت الناعتين وأن يقاس
بهم أحد من العالمين"⁴.

والأمل هو التسديد والتأييد
مركز نون للتأليف والترجمة

—

1. الوصية الخالدة للإمام قدس سره: ص 8-9.
2. خط الإمام، ج 2، ص 14
3. الكلمات القصار. ص 55.
4. مشارق أنوار اليقين، الحافظ رجب البرسي ص 114 .

الفصل الأول: مقام أهل البيت عليه السلام
مقام لا ينال أو يعرف:

حيث يكون الحديث عن مقام آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم تغدو المعاني صعبة الإدراك بعيدة المنال، كيف لا وهذا أمير المؤمنين عليه السلام يقول: "فمن ذا ينال معرفتنا، أو بيان درجتنا، أو يشهد كرامتنا، أو يدرك منزلتنا؟ حارت الأبواب والعقول، وتاهت الأفهام فيما أقول، تصاغرت العظماء، وتقاصرت العلماء، وكلت الشعراء، وخرست البلغاء، وألكنت الخطباء، وعجزت الفصحاء، وتواضعت الأرض والسماء عن وصف شأن الأولياء،... جلّ مقام آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن وصف الواصفين، ونعت الناعتين، وأن يقاس بهم أحد من العالمين"1.

لذلك عبّر الإمام قدس سره في أكثر من موضع أثناء أبحاثه العرفانية والأخلاقية عن العجز وعدم القدرة لدى أي إنسان للإحاطة بحقيقتهم لمعرفة منزلتهم عليه السلام والوقوف على أسرارهم إلا أنفسهم عليهم السلام.

يقول قدس سره: "إن مقام هؤلاء الأولياء عليهم السلام أسمى وأرفع من أن تنال آمال أهل المعرفة أطراف كبرياء جلالهم وجمالهم، وأن تبلغ خطوات معرفة أهل القلوب ذروة كمالهم2... إن لأهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله عليهم مقاماً روحانياً شامخاً، في السير المعنوي إلى الله، يفوق قدرة استيعاب الإنسان حتى من الناحية العلمية، وأسمى من عقول ذوي العقول وأعظم من شهود أصحاب العرفان"3.

ولم يقف أحد على حقائقهم وأسرارهم صلوات الله عليهم إلا أنفسهم عليهم السلام، معتبراً "أن أرقى ما يصل إليه الذي يصف نبذة من مقام الولاية لهم4 هو كوصف الخفاش الشمس المضئية للعالم"5.

مع هذا كله، فما هو المقام الذي تحدّث عنه قدس سره معرباً من خلاله عن صميم نظرتة الإلهية لهم وكاشفاً النقاب عن أمور جهلها الكثيرون من أهل الزمان .

بالإمكان إيجازها على الشكل التالي :

1. ظاهرهم الولاية وباطنهم النبوة :

فقد جاء في مقدمة شرحه لدعاء السحر ما هو صريح في هذا المعنى لا يقبل التأويل، حيث قال قدس سره :

"مفتاح الدائرة ومختمها، ومؤخر السلسلة ومقدمها، محمد صلى الله عليه وآله وسلم المصطفين من الله، الذين بهم فتح الله وبمعرفتهم عرف الله، الأسباب المتصلة بين سماء الإلهية وأراضي الخلقية، الظاهر فيهم الولاية، والباطن فيهم النبوة والرسالة، الهادين بالهداية التكوينية سراً والتشريعية جهراً، الآيات التامات، الأنوار الباهرات" 6

2. عندهم روح القدس:

أثناء حديثه عن نورانيتهم عليهم السلام التي يفتقر إدراكها من الإنسان إلى نورانية باطنية، ينتهي قدس سره إلى شرح مقام روح القدس الذي هو عبارة عن المكانة والقدرة والإحاطة التي لم يصل إليها أقرب المقربين من ملائكة الله تعالى كجبرائيل عليه السلام .

يقول قدس سره: "إن لهم مقاماً شامخاً من الروحانية يدعي بـ(روح القدس)، من خلاله يتمتعون بالاحاطة القيومية لجميع الكائنات حتى ذراتها الصغيرة جداً، ولا توجد فيها الغفلة والنوم والسهولة والنسيان

وكافة الحوادث والتغيرات والنقائص الملكية، بل تكون من عالم الغيب المجرد، والجبروت الأعظم.. إن تلك الروح المجردة الكاملة، أعظم من جبرائيل وميكائيل عليهما السلام رغم أنهم أعظم القاطنين في مقام قرب الجبروت"7.

3 شركاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مقامه :
يقول قدس سره: "يستفاد من الأحاديث الشريفة أنهم صلوات الله عليهم يشاركون الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في مقام الروحانية، وأن أنوارهم المطهرة كانت تسبح وتقدس للذات المتعال قبل خلق العالم"8.

جاء في الحديث عن المفضل أنه قال: "قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة؟ فقال: يا مفضل، كنا عند ربنا، ليس عنده أحد غيرنا في ظلة خضراء، نسبحه ونقدسده ونهلله ونمجده، وما من ملك مقرب ولا ذي روح غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء فخلق ما شاء من الملائكة وغيرهم ثم أنهى علم ذلك إلينا"9.
ويقول قدس سره: "وهم عليهم السلام من جهة الولاية متحدون، أولنا محمد أوسطنا محمد آخرنا محمد كلنا نور واحد"10.

4 لديهم الاسم الأعظم :

يقول قدس سره: "إن الأحاديث المنقولة في طينة أبدانهم وخلق أرواحهم ونفوسهم وفيما منحوا من الاسم الأعظم والعلوم الغيبية الإلهية

من علوم الأنبياء والملائكة، ومما هو أعظم مما لا يخطر على بال أحد"11 .

ويؤكد على ثبوت ذلك لهم عليهم السلام في موضع آخر من كلامه أثناء الحديث عن الاسم الأعظم في مقام الألوهية وتجليه ضمن شرح دعاء السحر، قائلاً: "لا يتجلى هذا الاسم بحسب الحقيقة تماماً إلا لنفسه12 ولمن ارتضى13 من عباده وهو مظهره التام، أي صورة الحقيقة الإنسانية التي هي صورة جميع العوالم وهي محبوب هذا الاسم، وليس في النوع الإنساني أحد يتجلى له هذا الاسم على ما هو عليه إلا الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وأوليائه الذين يتحدون معه في الروحانية، وذلك هو الغيب الذي استثنى منه من ارتضى من عباده. وفي رواية الكافي: والله لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ممن ارتضى من عباده"14 .

مقاماتهم عليهم السلام من أصول المذهب :

هناك أمران يشدد الإمام قدس سره على معرفتها والتمسك بهما حول رؤيته لأهل بيت العصمة عليه السلام بحيث ان إنكارهما يؤدي إلى خلل عقيدي والانحراف عن الأصول أو الضروريات التي تؤدي إلى الانحراف في زمرة الضالين عن طريق الهداية والاستقامة والثبات:

الأمر الأول: أنه لا يصل أحد إلى المراتب المعنوي التي وصل إليها أئمتنا الأبرار صلوات الله عليهم، حيث لا يمكن ذلك لأي كان سواء كان نبياً مرسلاً (باستثناء خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم) أو ملكاً مقرباً، ويعتبر قدس سره أن هذا الأمر من ضروريات المذهب .

يقول قدس سره: "وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام كانوا قبل هذا العالم أنواراً فجعلهم بعرشه محدقين وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله، وقد قال جبرائيل عليه السلام كما ورد في روايات المعراج: "لو دنوت أنملة لاحتقرت"، وقد ورد عنهم عليهم السلام: "إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل" 15.

الأمر الثاني: أن هذه المقامات بأجمعها ثابتة لسيدة نساء العالمين صلوات الله عليها. فمن يعتقد خلاف ذلك يعتبره الإمام قدس سره خارجاً عن مذهب الحق. يقول قدس سره: "كما أن هذه المقامات المعنوية ثابتة للزهراء عليها السلام مع أنها ليست بحاكم ولا خليفة ولا قاض، فهذه المقامات شيء آخر غير وظيفة الحكومة"، ولذا عندما نقول أن الزهراء عليها السلام ليست بقاضي ولا خليفة، فهذا لا يعني أنها مثلي ومثلكم، أو أنها لا تمتاز عنا معنوياً 16. إن فاطمة عليها السلام إنسان بكل ما للكلمة من معنى. لو كانت رجلاً لكانت مكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم 17. وإضافة إلى ضرورة هذه المكانات لها فهي صلوات الله عليها على وجه خاص كان لها ما لم يكن لغيرها. فيجدر بنا أن نتعرف على قراءة الإمام قدس سره لمقامها المعنوي، نجوم كالفراشة حول مصباح النور الأبدي الذي لا يطفأ .

المقام المعنوي للزهراء عليها السلام:

يقول قدس سره: "إنني أعتبر نفسي قاصراً عن التحدث حول الصديقة سلام الله عليها، وأكتفي بذكر رواية واحدة ورد في الكافي الشريف ومنقولة بسند معتبر، وتلك الرواية هي أن الصادق عليه السلام قال: بأن فاطمة عليها السلام عاشت بعد أبيها خمسة وسبعين يوماً في هذه الدنيا واشتد عليها الحزن، وكان جبرائيل الأمين يحضر عندها ويعزيها ويخبرها بأمور عن المستقبل.. أنا أعتبر هذه الفضيلة فوق جميع الفضائل الأخرى التي ذكرت للزهاء عليها السلام. رغم عظمة الفضائل الأخرى. وهي لمتحصل لأي إنسان آخر سوى الأنبياء عليهم السلام، وليس كل الأنبياء، بل الطبقة الأولى منهم وبعض الأولياء الذين كانوا بمنزلتهم، وبهذا التعبير أي المراودة مع جبرائيل خلال خمسة وسبعين يوماً لم تحصل لحد الآن لأي إنسان آخر، وهذه من الفضائل الخاصة بالصديقة الزهراء سلام الله عليها"18.

"إن المعنويات والتجليات الملكوتية، الإلهية، الجبروتية، الملكية والناسوتية مجتمعة كلها في هذا الموجود (السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام)"19.

ثم يفصح الإمام قدس سره من خلال رؤيته الثاقبة النابعة من عرفانه الكامل واتصاله الحقيقي بأهل البيت عليهم السلام بأن التجلي لقدرة الله عز وجل متمثلة بهم وعلى رأسهم الصديقة الطاهرة صلوات الله عليها، حيث يتفضل قائلاً: "إن ذلك البيت الصغير الذي ضم فاطمة عليها السلام وأولئك الخمسة الذين تربوا فيه والذين يمثلون في الواقع التجلي لكامل قدرة الله تعالى قدموا من الخدمات ما أدهشنا وأدهشكم، بل وأدهش البشر جميعاً"20.

المقام المعنوي لأمير المؤمنين عليه السلام :

إن كلامه قدس سره حول مقام الإمام علي عليه السلام غير محتاج إلى شرح وتعليق، بل هو بيان فصل ومعنى جامع، قلّما بلغ إلى ما قصده العظماء من أهل العلم، والأولون من أهل الفضل ويكفيك عبارته في مطلع وصفه للأمير عليه السلام، حيث يقول قدس سره: "علي عليه السلام هو التجلي العظيم لله" 21 .

ثم يتوجه قدس سره إلى الكشف عن الأبعاد الوجودية لأمير المؤمنين عليه السلام، قائلاً: "هذا العظيم يمتاز بشخصية ذات أبعاد كثيرة، ومظهر لاسم الجمع الإلهي الذي يحوي جميع الأسماء والصفات، فجميع الأسماء والصفات الإلهية في ظهورها وبروزها في الدنيا وفي العالم ظهرت في هذه الشخصية بواسطة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وإن أبعاده الخفية هي أكثر من تلك الأبعاد الظاهرة، وإن نفس هذه الأبعاد التي توصل إليها البشر، ويتوصل إليها قد اجتمعت في رجل واحد، في شخصية واحدة جهات متناقضة ومتضادة.. يمتلك جميع الأوصاف وجميع الكمالات 22 .. لم يكن حضرة الأمير عليه السلام من الجهة

المعنوية شخصاً مفرداً، بل كان كل العالم" 23 .

بهذا الفهم البعيد في أعماقه والراقي في مبادئه بما يعطي لمقام الإمامة من جامعية وإحاطة أنكرها بعض الباحثين عن الحقيقية الذين لم يصلوا إلى ضالتهم اعتماداً على نظرتهم إلى الإمام عليه السلام باتجاه واحد

وهو المقام الظاهري له، وهو ما دعاهم إلى الجرأة عليه في الماضي والحاضر مع إغفالهم لمقامه الباطني ومكانته المعنوية، وجهلهم بكل المقامات التي تحدّث عنها الإمام قدس سره. فهل كانوا يفهمون عليّ عليه السلام على أنه التجلي الإلهي العظيم أو أنه كل العالم يا ترى؟! لهذا يظهر الإمام قدس سره تأسفه قائلاً: "يجب علينا أن نأسف لأن الأيدي الخائنة والحروب التي أشعلوها ومثيري الفتن لم يسمحوا لبروز الشخصية الفذة لهذا الرجل العظيم في أبعادها المختلفة²⁴". فإذا كان الكثير من أبعاده الظاهرية خافياً عنا، فكيف بالأبعاد المعنوية التي لا ينال معرفة حقائقها أحد من العالمين كما جاء في الأحاديث الشريفة؟. إن ما تقدم من البيان حول مقام مولى الموحدين وزوجه الصديقة الطاهرة عليها السلام كان نموذجاً للإطلالة على رؤية الإمام الخميني قدس سره لهم صلوات الله عليهم من جدهم إلى خاتمهم القائم المهدي عجل الله فرجه، وإنما كان التخصيص في الحديث عنهما عليهما السلام لأنهما الرأس في سلسلة دائرة العصمة والولاية المحمدية العلوية. كما يفهم من مجموع كلامه قدس سره بل من تصريحه ثوابت عديدة منها :

الولاية التكوينية:

يقول قدس سره: "إن للإمام عليه السلام خلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون"²⁵. ويقول أيضاً في حديث عن ولاية الأمير عليه السلام: "إنه عليه السلام صاحب الولاية المطلقة الكلية، والولاية باطن الخلافة... فهو عليه السلام قائم على كل نفس بما كسبت ومع كل الأشياء"²⁶.

علم الكتاب :

يشير إلى ذلك في حديثه عن نزول الكتاب التكويني قائلاً: إن هذا الكتاب التكويني الإلهي وأولياءه الذين كلهم كتب سمائية نازلون من لدن حكيم عليم وحاملون للقرآن التدويني، لم يكن أحد حاملاً بظاهره وباطنه إلا هؤلاء الأولياء المرضيين كما ورد من طريقهم عليهم السلام .
عن أبي عبد الله عليه السلام: "وعندنا والله علم الكتاب كله" 27 .

هوامش

1. مشارق أنوار اليقين. ص 114 .
2. الأربعون حديثاً، الإمام الخميني قدس سره ص 597 .
- 3 م.ن. ، ص 604 .
- 4 م.ن. ص 605 .
- 5 م.ن. ص 597 .
6. شرح دعاء السحر، الإمام الخميني قدس سره ص 19.18 .
7. الأربعون حديثاً. ص 597.
- 8 م.ن. ص 604.
9. الكافي، الشيخ الكليني، ج 1، ص 441
10. شرح دعاء السحر. ص 64.
11. الأربعون حديثاً. ص 604.
12. أي لله عز وجل.
13. أي النبي وأهل بيته عليهم السلام.

14. شرح دعاء السحر. ص 86.
15. الحكومة الإسلامية (الإمام الخميني قدس سره) ص 52. ط.
- المكتبة الإسلامية الكبرى.
16. الحكومة الإسلامية، ص 52
17. صحيفة الإمام، الإمام الخميني، ج 7، ص 250
18. منهجية الثورة، الإمام الخميني قدس سره ص 120-121.
19. الكلمات القصار، ص 55.
20. م. ن.
21. تفسير آية البسمة، الإمام الخميني قدس سره ص 31.
22. منهجية الثورة الإسلامية. ص 117.
23. خط الإمام، كلام الإمام، ج 2، ص 14.
24. منهجية الثورة الإسلامية. ص 116.
25. الحكومة الإسلامية، ص 52.
26. مصباح الهداية، الإمام الخميني، ص 142.
27. شرح دعاء السحر، ص 71.

الفصل الثاني: خلق أهل البيت عليهم السلام

أهل البيت عليهم السلام النور الأول :

ما من شك أن من المحاور المهمة في هذا البحث معرفة رؤية الإمام قدس سره حول بدء خلق أهل البيت عليه السلام، وهو الموضوع الذي أولاه أهمية عالية في أكثر من موضع، وأكد أن الإيمان بهذا الجانب هو من أصول المذهب. نذكر من ذلك ما قاله في كتابه مصباح الهداية،

حيث ابتدأ بنقل حديث طويل جامع لأَمْهات المقامات الشامخة في خلقهم عليه السلام، وشرع بشرحه بعد ذلك، ننقله كاملاً للتبرك والتميم وزيادة الفائدة والبصيرة، وهو ما رواه الصدوق بإسناده عن مولانا الرضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني. قال علي عليه السلام: فقلت: يا رسول الله، فأنت أفضل أم جبرئيل عليه السلام؟

فقال: يا علي، إن الله تبارك وتعالى فضّل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعد لك يا علي وللأئمة من بعدك، وإن الملائكة لخدّامنا وخدام محبينا يا علي الذين يحملون العرش من حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا.

يا عليّ، لولا نحن ما خلق آدم عليه السلام ولا حوّاء ولا الجنة والنار ولا السماء والأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه؟

لأن أول ما خلق الله عز وجل أرواحنا فأنطقها بتوحيده وتمجيده، ثم خلق الملائكة، فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظمت أمرنا فسبحنا لتعليم الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا.

فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله وإنا عبيد ولسنا بآلهة يجب أن نعبد معه أو دونه، فقالوا: لا إله إلا الله، فلما شاهدوا كبر محلنا كبرنا لتعليم الملائكة أن الله تعالى أكبر من أن ينال عظم المحل إلا به، فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من العز والقوة قلنا لا

حول ولا قوة إلا بالله لتعلم الملائكة أن لا حول لنا إلا به ولا قوة إلا بالله، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجه لنا من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله لتعلم الملائكة ما يستحق الله وما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه، فقالت الملائكة: الحمد لله فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله عز وجل وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده .

ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم عليه السلام فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عز وجل عبودية ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه. فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون؟.

وأنه لما عرج بي إلى السماء أذن جبرئيل عليه السلام مثنى مثنى وأقام مثنى مثنى، ثم قال لي: تقم يا محمد. فقلت له: يا جبرئيل، أتقدم عليك؟ فقال: نعم، إن الله تبارك وتعالى فضل أنبيائه على ملائكته أجمعين، وفضلك خاصة. قال: فتقدمت، فصليت بهم ولا فخر.

فلما انتهيت به إلى حجب النور قال لي جبرائيل: تقدم يا محمد ولا تخلف عني. فقلت: يا جبرئيل، أفي مثل هذا الموضع تفارقني؟؟ فقال: يا محمد، إن انتهاء حدي الذي وضعني الله عز وجل فيه إلى هذا المكان، فإن تجاوزته احترقت أجنحتي بتعدي حدود ربي جل جلاله، فزخ بي في النور زخة (فرج بي في النور زخة) حتى انتهيت إلى ما شاء الله من علو ملكه، فنوديت: يا محمد! فقلت: لبيك وسعديك تباركت وتعاليت، فنوديت: يا محمد! أنت عبدي وأنا ربك، فإياي فاعبد، وعلي فتوكل، فإنك نوري في عبادي ورسولي على خلقي وحجتي على بريتي،

لك ولمن تبعك خلقت جنتي ولمن خالفك خلقت ناري ولأوصياؤك
أوجبت كرامتي ولشييعتهم أوجبت ثوابي.

فقلت: يا ربّ، ومن أوصيائي؟ فقال: يا محمد، أوصياؤك المكتوبون
على ساق العرش، فنظرت وأنا بين يدي ربي جلّ جلاله إلى ساق
العرش، فرأيت اثني عشر نوراً في كل نور سطر أخضر عليه اسم وصي
من أوصيائي أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم مهدي أمتي، فقلت: يا
رب، هؤلاء أوصيائي بعدي؟ فنوديت: يا محمد، هؤلاء أوليائي وأحبائي
وأصفيائي وحججي بعدك على بريتي، وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير
خلقي بعدك، وعزتي وجلالي لأظهرن بهم ديني ولأعلن بهم كلمتي،
ولأظهرن الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأمكنه مشارق الأرض ومغاربها،
ولأسخرن له الرياح وأذلن له السحاب الصعاب، ولأرقينه في الأسباب،
ولأنصرنه بجندي، ولأمدنه بملائكتي حتى يعلن دعوتي بجمع الخلق
على توحيدي، ثم لأديمن ملكه ولأدوالن الأيام بين أوليائي إلى يوم
القيامة 1.

يستفاد من هذا الحديث الشريف أمور :

- الأول: أفضلية أهل البيت عليهم السلام على جميع الأنبياء المرسلين
سوى رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم والملائكة المقربين .
- الثاني: الملائكة خدامهم وخدام محبيهم .
- الثالث: استغفار حملة العرش للمؤمنين بولايتهم عليهم السلام .
- الرابع: إنهم عليهم السلام الغاية للخلق ولأجلهم خلق آدم عليه
السلام .

الخامس: السَّيِّقُ إلى معرفة الله وتسبيحه وتهليله وتقديسه .
السادس: أن أرواحهم هي الخلق الأول .
السابع: إنهم عليهم السلام نور واحد .
الثامن: إنهم عليهم السلام الواسطة في هداية الملائكة إلى معرفة التوحيد والتسبيح و ...
التاسع: إن بهم عليهم السلام إظهار الدين واعلاء الكلمة .
العاشر: الوعد الإلهي بالنصر والمدد بالملائكة وتسخير الرياح للقائم المهدي عجل الله تعالى فرجه وتمليكه مشارق الأرض ومغاربها .

1. أما الأمر الأول فإن الإمام قدس سره يكشف عن حقيقته التي يراها بعين البصيرة قائلاً: "وليعلم أن هذه الفضيلة ليست فضيلة تشريفية اعتبارية كفضيلة السلطان على الرعية، بل فضيلة حقيقية وجودية كمالية... وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "والفضل بعدي لك وللأئمة من بعدك" إشارة إلى ما ذكرنا من أن مرتبة وجوده ووجود سائر الأئمة عليهم السلام بالنسبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مرتبة الروح من النفس الناطقة الإنسانية" 2 .

2. ثم يوضح قدس سره معنى الخدمة الملائكية في مطلع نوراني، حيث يقول: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "وإن الملائكة لخدّامنا وخدام محبيننا شاهد على ما ذكرنا من أن العالم بجميع أجزائه وجزئياته من القوى العالمة والعمّالة للولي الكامل، فبعض الملائكة من قواه العالمة كجبرائيل ومن في طبقتة، وبعضهم من العمّالة كعزرائيل ومن في درجته وكالملائكة المساوية والأرضية المدبرة .

وخدمة الملائكة لمحبيهم أيضاً بتصرفهم عليهم السلام كخدمة بعض الأجزاء الإنسانية لبعض بتصرف النفس "3 .

3 وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "والذين يحملون العرش، فإن للعرش إطلاقات" والمراد هنا جملة الخلق.. وفي رواية أخرى عن الكاظم عليه السلام قال: "إذا كان يوم القيام كان حملة العرش ثمانية: أربعين من الأولين: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وأربعة من الآخرين: محمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام"4 .

4 ثم بيّن قدس سره علة كونهم الغاية من خلق آدم عليه السلام بقوله :

"لأنهم وسائط بين الحق والخلق.. وفي هذه الفقرة (لولا نحن ما خلق الله آدم) بيان وساطتهم بحسب أصل الوجود... بل هم الاسم الأعظم"5 .

5 ويعقد أصلاً في بيان سبقهم إلى معرفة ربهم، مشيراً إلى أنه يعود لسبق الوجود الذي هو غير محدود بالزمان أو المكان لأنه فوقهما منزّه عنهما، يقول قدس سره: "فالسبق إلى معرفة الرب وتسيّحه وتهليله لسبق الوجود، وهذا السبق هو السبق الدهري المناسب لهذا المقام الرفيع العالي المنزه عن الزمان والمكان. وبالجمله هو السبق بالعلية والحقيقة الذي هو ثابت في مراتب الوجود وحقائق الغيب والشهود"6 . ويختتم بيانه النوراني مكتفياً بالتعرض للأمور الخمسة الأولى دون الخمسة الأخيرة على أمل تفصيلها في رسالة مفردة بقوله: "ولما كان بقية الحديث الشريف خارجاً عن مقصدنا جزئاً عن شرحه مع كونه لايقاً

للشرح الطويل والبحث والتفصيل، عسى الله أن يوفقنا لإفراد رسالة في شرحه"7 .

حديث الخلق والتكوين :

ومن الأحاديث التي تعرضت لبدء خلقهم عليهم السلام ما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

قال صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قبل أن يخلق آدم عليه السلام حين لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولا جنة ولا نار". فقال العباس: كيف كان بدء خلقكم يا رسول الله؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: "يا عم، لما أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة فخلق منها نوراً، ثم تكلم بكلمة أخرى فخلق منها روحاً، ثم خلط النور بالروح فخلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام، فكنا نسبحه حين لا تسبيح، ونقدسه حين لا تقديس، فلما أراد الله أن ينشئ خلقه فتق نوري فخلق منه العرش، فالعرش من نوري ونوري من نور الله، ونوري أفضل من نور العرش، ثم فتق نور أخي علي فخلق منه الملائكة، فالملائكة من نور علي ونور علي من نور الله فعلي عليه السلام أفضل من الملائكة، ثم فقت نور ابنتي فاطمة فخلق منه السماوات والأرض، فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة ونور ابنتي فاطمة من نور الله فابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض، ثم فتق نور ولدي الحسن وخلق

من الشمس والقمر، فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن ونور ولدي الحسن من نور الله فالحسن أفضل من الشمس والقمر، ثم فقت نور ولدي الحسين فخلق منه الجنة والحدور العين، فالجنة والحدور العين من نور ولدي الحسين، ونور ولدي الحسين من نور الله فولدي الحسين أفضل من الجنة والحدور العين"8-9 .

يقول قدس سره: "لأن هؤلاء الأجلاء عليهم السلام منبهم من الأنوار الغيبة الإلهية والمظاهر التامة للجلال والجمال وآياتهما الباهرة10، وفي الأساس فإن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليه السلام وبحسب روايتنا كانوا أنواراً في ظل العرش قبل هذا العالم، وهم يتميزون عن سائر الناس في انعقاد النطفة والطينة"11 .

يتضح من خلال ما تقدم أن الإمام قدس سره يعتقد بأن أول الخلق هو نورهم صلوات الله عليهم كما جاء في رواية الصدوق التي اعتمد عليها في مصباح الهداية12 مع إثبات جميع المضامين فيها واعتبار ذلك من أصول المذهب كما صرح في موضع آخر13. والشاهد قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

" لأن أول اما خلق الله عز وجل أرواحنا فأنطقها بتوحيده وتمجيده، ثم خلق الملائكة، فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً ."

وهذا ما دلّت عليه عشرات الروايات الشريفة عدا ما ذكرنا من حديث الخلق في مقام الجواب عن سؤال العباس عم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم .

نختم هذا الفصل بحديث لأمير المؤمنين عليه السلام يصف فيه المعصوم بلسان المعصوم، حيث يقول صلوات الله عليه: "وهل يُعرف

أو يُوصف أو يُعلم أو يُفهم أو يُدرك أو يُملك شأن من هو نقطة الكائنات وقطب الدائرات وسر الممكنات وشعاع جلال الكبرياء وترف الأرض والسماء... والإمام . يا طارق . بشر ملكي وجسد سماوي وأمر إلهي وروح قدسي مقام عليّ ونور رجليّ وسر حفيّ، فهو ملكي الذات إلهي الصفات، زايد الحسنات، علام بالمغيبات خصاً من رب العالمين، ونصاً من الصادق الأمين، وهذا كله لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يشاركهم فيه مشارك"14 .

من خلال ذلك نفهم لماذا اعتبر الإمام قدس سره كل من يقول بأن أحداً من الأولياء والأوصياء يمكنه بلوغ مقام آل محمد عليهم السلام خارجاً عن المذهب .

هوامش

1. مصباح الهداية. ص124.126.
2. مصباح الهداية. ص129.
- 3 م.ن. ص13.
- 4 م.ن.
- 5 مصباح الهداية. ص131.
- 6 م.ن. ص132.
- 7 م.ن. ص136.
- 8 حقيقة الإمامة في المدرسة العرفانية. ص110.
- 9 بحار الأنوار. ج57. ص192 . تأويل الآيات. ص144.
10. الأربعون حديثاً. ص596.

11. الحكومة الإسلامية. ص 89.
12. مصباح الهداية، ص 124.
13. الحكومة الإسلامية. ص 89.
14. حقيقة الإمامة في المدرسة العرفانية. ص 105 .

الفصل الثالث: ولاية أهل البيت عليهم السلام

1. العلاقة بين الولاية والعمل :

بات واضحاً ما هو المعنى الشامل الذي يراه الإمام لولاية أهل البيت عليه السلام من خلال قوله: "فهو عليه السلام بمقام ولايته الكلية قائم على كل نفس" أثناء حديثه عن مولى الموحدين صلوات الله عليه، فما ينبغي أن نتعرف عليه الآن هو نظرة قدس سره حول العلاقة القائمة بين العمل والولاية بمعنى هل يمكن الإنسان الاستغناء بأحدهما عن الآخر، فإذا كان من المؤمنين بولايتهم عليهم السلام كفاه ذلك عناء التكاليف والعبادات خصوصاً مع كون بعض الأحاديث عند النظر إليها ظاهرة في هذا المعنى للوهلة الأولى، وهي ما أدّت إلى تصدي الإمام قدس سره لمعالجتها من خلال بيان منافاتها مع طائفة كبيرة أخرى من الأحاديث الشريفة التي تؤكد على ضرورة الالتزام بالابتعاد عن مخالفة الله في أصول الأحكام وفروعها، وحصول العلم القطعي بأن بعض الروايات التي يتنافى ظاهرها مع هذه المسلّمات لا يكون الظاهر منها مقصوداً، فلا بد من تأويلها بصورة لا تتضارب مع ما يعتبر من ضروريات الدين، أو القيام بالجمع بين الطائفتين، وإلا نرجع علمها إلى قائلها .

2. حديث المعرفة :

ويعتبر قدس سره: "أن الاعتقاد بمشروعية تسويد صحف الأعمال اتكالاً على محبتهم وولايتهم صلوات الله عليهم مصيبة من المصائب الكبيرة وافتراء وسوء فهم، وهو ما لا يدعو إليه المعصوم عليه السلام بل في منتهى البعد عن هذا المعنى" 1 .

مصدراً بحثه الشريف بحديث عن محمد بن مارد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: "حديث روي لنا أنك قلت: إذا عرفت فاعمل ما شئت، فقال عليه السلام: قد قلت ذلك، قال: قلت: وإن زنوا وإن سرقوا وإن شربوا الخمر؟! فقال لي: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله ما أنصفونا أن نكون أخذنا بالعمل ووضع عنهم! إنما قلت: إذا عرفت فاعمل ما شئت من قليل الخير وكثيره، فإنه يقبل منك" 2 .

والذي يريد الإمام قدس سره أن يخلص إليه في نهاية المطاف هو التأكيد على أمرين :

الأول: أن الإيمان بالولاية ليس بديلاً عن العمل، يقول قدس سره: "إن المؤمن إذا لم يعمل بمتطلبات الإيمان وما تستدعيه محبة الله وأوليائه لما كان مؤمناً ومحباً، وإن هذا الإيمان الشكلي والمحبة الجوفاء من دون جوهر ومضمون" 3 .

والثاني: أن العمل ليس كافياً دون الإيمان بالولاية .

فتكون النتيجة أن كلا الأمرين مطلوب، ولا يتيسر للإنسان الوصول إلى شاطئ الأمان الإلهي والفوز بما عند الله تعالى طالما كان مستغنياً عن أحد هذين الجانبين

المذكورين .

3 طائفتان من الأخبار :

إذا عرفنا ذلك لابد لنا من الاطلاع على أسلوب الإمام قدس سره في التوفيق بين الطائفتين من الأحاديث الظاهرة في عدم الاتفاق على المعنى المتقدم، حيث يظهر من بعضها الاكتفاء بحب أهل البيت عليه السلام من قبيل الحديث المشهور بين العامة والخاصة: "حب علي حسنة لا تضر معها سيئة، وبغضه سيئة لا ينفع معها حسنة"4، ويظهر من بعضها الآخر عدم الاكتفاء وضرورة العمل مع حبهم عليه السلام كما في حديث جابر عن أبي جعفر عليه السلام: "فقال: يا جابر، لا تذهب بك المذاهب حسب الرجل أن يقول أحب علياً وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعلاً؟ فلو قال إني رسول الله، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير من علي عليه السلام، ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئاً"5 .

إن المشكلة التي تتنافى وأصل المذهب ظاهراً ليست كامنة في روايات الطائفة الثانية وإنما الأولى لأنها تدل بالمثال المتقدم أنه ليس هناك ضرر من العمل السيئ طالما كان صادراً من محب أمير المؤمنين عليه السلام، بينما الثانية تقول بعدم كفاية حبهم عليهم السلام مستقلاً عن القيام بالوظائف الشرعية لا أنه يمكن الاستغناء عن ولايتهم ومودتهم لذلك لا مشكلة فيها. فمن هنا عالج الإمام قدس سره الخبر المذكور وما شاكلة على النحو التالي، قائلاً: "هذا الحديث الشريف من قبل الأحاديث المذكورة التي وردت في الإيمان ومعناه :

أ. إما ما ذكره المرحوم المجلسي في تلك الأخبار من أن المقصود من الضرر المنفي هو عدم الخلود في النار أو عدم الدخول فيها، فكون المعنى أن حب علي عليه السلام الذي هو أساس الإيمان وإكماله وإتمامه يبعث على التخلص من النار بواسطة شفاعة الشافعين. وعليه كما قلنا لا يتنافى هذا الاحتمال مع ألوان العذاب في البرزخ، وقد ورد ذلك عن الصادق عليه السلام: "والله ما أخاف عليكم إلا البرزخ، فأما إذا صار الأمر إلينا فنحن أولى بكم".

ب. أو ما ذكرناه من أحب الإمام علي يبعث على نور وإيمان يجنبان صاحبهما عن الآثام، ويدفعانه إلى التوبة والإنابة عندما يبتلي بالمعصية من دون أن يفسح المجال أمامه للتمادي في الغي والعصيان⁶.

ثم يؤكد قدس سره من ما ورد من قبيل هذه الأخبار قد يخلق توهمًا وشبهة عند البعض يكون مآلها الخسران المبين، ولذلك كانت المحبة على قسمين: حقيقية ووهمية، والتولي كذلك صادق وكاذب.

4 المحبة الحقيقية والمحبة الوهمية :

يشير قدس سره: "إلى توهم بعض الناس أن مجرد ادعاء التشيع وحب التشيع وحب أهل بيت الطهارة والعصمة يسوغ له والعياذ بالله اقتراف كل محرم من المحذورات الشرعية ويرفع عنه قلم التكليف. إن هذا السيء الحظ لم ينتبه بأن الشيطان قد ألبس عليه الأمر فيخشى عليه في نهاية عمره أن تسلب منه هذه المحبة الجوفاء التي لا تجدي ولا تنفع ويحشر يوم القيامة صفر اليدين وفي صفوف نواصب أهل البيت عليهم السلام. إن ادعاء المحبة من دون دليل وبينة لا يكون

مقبولاً إذ لا يمكن أن أكون صديقك وأضمر لك الحب والإخلاص ثم أقوم بكل ما هو مناقض لرغباتك وأهدافك. إن شجرة المحبة تنتج وتثمر في الإنسان المحب والعمل حسب درجة المحبة ومستواها. فإذا لم تحمل تلك الشجرة هذه الثمرة فلابد من معرفة أنها لم تكن محبة حقيقية وإنما هي محبة وهمية.. فمحب أهل البيت صلوات الله عليهم هو الذي يشاركهم في أهدافهم ويعمل على ضوء أخبارهم وآثارهم.. وإن المؤمن إذا لم يعمل بمتطلبات الإيمان وما تستدعيه محبة الله وأوليائه لما كان مؤمناً ومحباً، وإن هذا الإيمان الشكلي والمحبة الجوفاء من دون جوهر ومضمون ينتفي ويحول أمام حوادث بسيطة وضغوط يسيرة"7 .

5. الولاية وقبول الإيمان :

هناك معنيان ترتكز عليهما رؤية الإمام قدس سره في هذا الشأن :
الأول: أنه يستحيل حصول الإيمان بالله تعالى ورسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم دون ولاية أهل البيت عليهم السلام .
الثاني: أنه لو فرضنا إمكانية حصول الإيمان دون ولايتهم عليهم السلام

لما كان مقبولاً على الإطلاق .

يقول قدس سره: "إن الإيمان لا يحصل إلا بواسطة ولاية علي بن أبي طالب وأوصيائه من المعصومين الطاهرين عليهم السلام. بل لا يقبل الإيمان بالله ورسوله من دون الولاية8 .. فهي شرط في قبول الإيمان بالله والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم"9 .

6. الولاية وقبول الأعمال :

ينقل الإمام قدس سره في بحثه الشريف مجموعة من الأخبار التي تدل على هذا الأمر، ثم يصرح بأن كون ولايتهم صلوات الله عليهم شرطاً في قبول الأعمال من المسلّمات والضروريات التي لا يشرع إنكارها بحال ولا التشكيك في حقيقتها وإلا حاد الإنسان عن جادة المذهب المقدّس 10 الذي أراده رب العالمين .

ومما قاله في هذا الشأن: "إن ولاية أهل البيت عليهم السلام ومعرفتهم شرط في قبول الأعمال، ومن الأمور المسلمة، بل تكون من ضروريات مذهب التشيع المقدس. والأخبار في هذا الموضوع وبهذا المضمون كثيرة" 11 .

عن الكافي: بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: "... أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحجّ جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه وتكون جميع أعماله بدلالاته إليه، ما كان له على الله حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان" 12 .

وبإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "من لم يأت الله عز وجل يوم القيامة بما أنتم عليه، لم يتقبل منه حسنة ولم يتجاوز له سيئة" 13 . وفي حديث عن مولانا الصادق عليه السلام: "... وكذلك هذه الأمة العاصية المفتونة بعد تركهم الإمام الذي نصبه نبيهم لهم، فلن يقبل الله لهم عملاً، ولن يرفع لهم حسنة حتى يأتوا إليهم من حيث أمرهم ويتولوا الإمام الذي أمرهم الله بولايته ويدخلوا من الباب الذي فتحه الله ورسوله لهم" 14 .

والولاية كذلك شرط في غفران الذنوب والتجاوز عن السيئات كما هو
صريح الحديث الثاني المتقدم.

هوامش

1. الأربعون حديثاً. ص 623 .
2. أصول الكافي ج 2 . كتاب الإيمان والكفر. باب أن الإيمان لا يضر معه سيئة. الحديث 5.
- 3 الأربعون حديث. الإمام الخميني قدس سره. ص 512.
- 4 مناقب ابن شهر آشوب. ج 3. ص 197.
- 5 أصول الكافي ج 2 . كتاب الإيمان والكفر باب الطاعة والتقوى الحديث 3.
6. الأربعون حديثاً. ص 629.
7. الأربعون حديثاً، ص 632.
8. الأربعون حديثاً. ص 631.
9. م. ن. ص 633.
10. م. ن. ص 632.
11. م. ن. ص 633.
12. أصول الكافي ج 2. كتاب الإيمان والكفر حديث 5.
13. الأربعون حديثاً. ص 632.

14. وسائل الشيعة كتاب الطهارة باب 69 من أبواباً مقدمة العبادات
الحديث 3.

الفصل الرابع: علاقة الإمام قدس سره بأهل البيت عليهم السلام

1. العشق:

إن عشق الإمام قدس سره لأهل بيت العصمة والطهارة لا يمكن لأحد وصفه، حيث لا يختلف اثنان في أن الذي قلبه وروحه وعقله طيلة الحياة الشريفة التي قضاها في عالم الدنيا إلى أن غادرها بقلب هادئ ومطمئن مسافراً إلى مقرّه الأبدى هو حبّه اللامحدود لأهل البيت عليهم السلام، فكانوا لسان بيانه وأذنه الواعية وعين بصره وبصيرته، وصوت الحق الذي دوى في أرجاء المعمورة، وقوته التي انتصر بها على أعدائه وأعداء الله تعالى، فهو العاشق لهم إلى حد أنه قدس سره كلما يرفع نداء (يا حسين) تظلّ دموعه تنهمر على خديه بلا اختيار منه، رغم أنه لم يذرف الدمع أثناء تلقيه خبر استشهاد نجله السيد مصطفى رحمه الله .

لقد ملأ عشقه لهم عليهم السلام كل وجوده وأبعاد شخصيته الفذة إلى الحدّ الذي كان يرى دوماً بالقرب منهم .
يقول أحد المقرّبين منه: كان تصرف الإمام عند زيارته للمشاهد المشرفة وأضرحة الأئمة المعصومين عليهم السلام وكأنه كان يرى الإمام المعصوم ناظراً إليه وحاضراً أمام عينيه 1 .

بهذه الروح استمد القائد الكبير للثورة الإسلامية العون من الوجود الشريف للمعصومين عليهم السلام في كل كبيرة وصغيرة بعد الألفاظ الإلهية، وهكذا خلال الأحداث الخطيرة كان مرجعه الأول هو المعصوم عليه السلام. يقول أحد معاونيه: "كتب الإمام رسائل إلى علماء المدن، وأمرني أن أذهب إلى محافظات خراسان وسيستان وبلوشستان لأوصل رسائله ونداءه إلى العلماء. عندما وصلت لتوديعه وسلمني الرسائل، قال: قبل أن تقابلوا أي شخص تشرفوا أولاً بزيارة الحرم المطهر لثامن الأئمة علي بن موسى الرضا عليه السلام وقولوا له نقلاً عن لساني: قد استجد أيها السيد أمر عظيم جداً، ومسألة خطيرة، ونحن اعتبرنا تكليفنا أن نشور ونتحرك، فإن كان ذلك مما يرضيك فأيدنا" 2 .

2. التعظيم :

لقد كان الإمام قدس سره العارف الحقيقي الواصل إلى كعبة مقصوده، يعلم ما يستوجب المقام الشامخ والمنزلة الرفيعة لأهل الولاية الإلهية آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من تقديس وتكريم واحترام بالغ يفوق العادات المعروفة والأنماط المألوفة بين سائر الناس، لذلك كان قدس سره إذا مرّ على ذكر اسم أحد المعصومين عليهم السلام أخذته الهيبة حينما يردّده بعزّة وتعظيم كاملين، مع التقدير العالي لأحاديثهم صلوات الله عليهم واتباع مقاصدهم وأفكارهم وعقائدهم وإحياء مناسبات ولادتهم وشهادتهم .

كيف لا وهذا إمامنا الصادق عليه السلام كان كلما لهج باسم جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو جالس يحني رأسه الشريف إلى مستوى ركبتيه .

والإمام قدس سره الذي لم يذكر أستاذاً من أساتذة الكرام إلا وعقب بالقول "روحي فداه"، فكيف علاقته مع المعصومين عليهم السلام؟ ! يذكر لنا أحد المتشرفين بخدمته مدى اهتمامه بتعظيم وإحياء سائر ما يرتبط بأهل البيت عليهم السلام قائلاً: "طوال المدة التي كان خلالها الإمام في النجف الأشرف كان يقيم مجالس العزاء في منزله في جميع ليالي شهادة المعصومين عليهم السلام، وفي ذكرى رحيل السيدة الزهراء عليها السلام كان يتسمر في إقامة المجلس لثلاثة ليالي، وكان بكاؤه مشهوداً في جميع هذه المجالسة دون استثناء" 3 .

و في مكان آخر يقول: "بمجرد أن يشرع أحد الأخوة بقراءة مجلس المصيبة يبدأ الإمام بالبكاء بصوت عالت وتنهمر قطرات الدمع على خديه كمثّل حبات اللؤلؤ" 4 .

ومما تجدر الإشارة إليه أن كل الأعباء والعناء الذي عاناه الإمام قدس سره واهتمامه بالأمور السياسية وسائر شؤون البلاد والعباد لم يكن ليمنع أو يحول بينه وبين المحافظة والحرص على إحياء وإظهار مظلومية الأئمة عليهم السلام، فنراه في التاسع من شهر محرم يأمر بإقامة مجلس عزاء في باريس بحضور جمع من المراسلين الذين جاءوا لمقابلته قدس سره قبل ساعة من وقت الظهر 5 .

3 الزيارة :

إن المنزلة الخاصة لزيارة التربة المطهرة للمعصومين عليهم السلام والشهداء والصديقين في ثقافة الولاية والثورة غير خافية على أحد، وهي مصدر إلهام وتسديد لذوي الارادات الربانية في الجانبين العلمي والعملية. وقد دأب الأنبياء والأولياء العظام وأئمتنا الأبرار خصوصاً على زيارة المراقد المشرفة أو من بعيد طيلة حياتهم الشريفة. لذلك كانت محافظة الإمام قدس سره شديدة في أن لا يمر يوم واحد أثناء وجوده في النجف الأشرف دون زيارة حضور مولى الموحدين (صلوات الله عليه، فمن اليوم الأول الذي وصل فيه إلى النجف وإلى اليوم الذي غادر فيه، كان يأتي كل ليلة بعد حوالي ثلاثة ساعات من غروب الشمس في الصيف والشتاء لزيارة حرم الأمير عليه السلام، ولم يكن ليترك هذا البرنامج أبداً حتى في السنة التي وقع فيها الانقلاب في العراق، وأعلنت الحكومة العسكرية، فإنه في تلك الليلة لم يترك الزيارة أيضاً ولم يعدل عن برنامجه اليومي المقرر.

يقول السيد مصطفى قدس سره: "في تلك الليلة بحثنا عن الإمام فلم نجده داخل غرفته، فجلنا في أماكن مختلفة من البيت، لكننا لم نجده إلى أن صعدنا إلى السطح فرأيناه

وقف متوجهاً إلى حرم أمير المؤمنين عليه السلام يقرأ الزيارة"6 .

آداب الزيارة :

كان تشرف الإمام قدس سره بزيارة حرم أمير المؤمنين عليه السلام يحصل وفق آداب خاصة، يجدر بنا الالتفات إليها والاستفادة منها، فقد كان لا يدخل قبل الاستئذان حيث يبدأ بقراءة إذن الدخول بكمال

الأدب والوقار والتعظيم والإجلال، فإذا انتهى يدخل الحرم المطهر من الجهة السفلى للضريح المقدس، مراعيًا ومتقيّدًا بأن لا يمر من جانب الرأس الشريف لحضرة الأمير عليه السلام. وعندما كان يصل إلى مقابل الضريح المشرف يقرأ بكل إخلاص زيارة (أمين الله) أو زيارة أخرى، ويرجع مجددًا من الجهة السفلى عند قدمي حضرة الأمير عليه السلام ويجلس في الزاوية يقرأ الزيارة والدعاء ثم يصلي ركعتين، وبعدها يترك الحرم مغادرًا ببدنه باقياً بروحه مع مراعاة الآداب الخاصة بالخروج⁷. هذا ما كان يواظب عليه أثناء وجوده في النجف الأشرف. أما حينما يكون موجوداً في كربلاء كان يقضي أغلب أيام الزيارة في جوار ضريح سيد الشهداء صلوات الله عليه ويقرأ كل يوم زيارة عاشوراء مع تكرار كل من السلام واللعن الواردين في نهايتها مئة مرة. وأما في الفترة التي تواجد فيها سماحته في قم المشرفة كان يتوجه كل يوم بعد درس الصباح وأحياناً بعد درس العصر إلى الحرم المطهر للسيدة المعصومة سلام الله عليها ولم يكن يترك المشاركة في صلاة الجماعة التي تقام في الحرم ويقرأ عادة الزيارة الجامعة هناك⁸.

لم ينقطع توسله بهم صلوات الله عليهم في كل صباح ومساءً، ولم يشتغل بشيء إلا وكانوا يسكنون في عمق ضميره وأبعاد روحه في كل حركة وسكون، حتى حينما كان يمشي يومياً لمدة ساعتين أثناء سكناه في طهران في الآونة الأخيرة، فإن لسانه لا يتوقف عن ذكرهم طيلة المسافة مع جهد الطريق⁹.

4. التمسك بأدعيتهم عليهم السلام :

يعتبر الإمام قدس سره الأدعية الصادرة من أهل بيت العصمة عليه السلام منطلقاً هاماً للإنسان كي يجني فوائد عظيمة ويركز علاقته بالله تعالى، لذلك تمسك بها وكان للمناجاة الشعبانية مكانة خاصة في كل مفاصل حياته الشريفة. يقول قدس سره: "إن هذه المناجاة في الحقيقة تعد الإنسان وتهيؤه للقيام، ولعل السبب في التركيز عليها هو هذا لكي يصبح الإنسان على استعداد والتفات ليجني الفوائد العظيمة من الصوم. لقد كان الأئمة عليهم السلام يوضحون كثيراً من المسائل بواسطة الأدعية. أسلوب الدعاء يختلف كثيراً عن الأساليب الأخرى التي كانوا يستعملونها لبيان الأحكام والمسائل الإيمانية والعقيدية، وكل المسائل المرتبطة بمعرفة الله تعالى، كانوا يبينونها في الأدعية وبأسلوبها. من المؤسف أن نقرأ هذه الأدعية ونمر عليها دون أن نتأمل فيها بما تحمله من معاني رقيقة، ودون أن نعرف ماذا يريد الأئمة عليه السلام أن يقولوا"10 .

هوامش

1. المذكرات الخاصة. ج1. ص120 .

2. م.ن.120.

3 المذكرات الخاصة. ج5. ص72.71.

4 م.ن. ج2. ص5655.

5 م.ن. ج1. ص4948.

6. المذكرات الخاصة ج1، ص96.95.

7. المذكرات الخاصة. ج 1. ص 122.
8. مجلة "الحوزة"، العدد 37، ص 64.
9. الإمام قدوة. ص 17.
10. الجهاد الأكبر. الإمام الخميني قدس سره، ص 44.